****

**مقدمة**

اتجهت أنظار الإدارة الفرنسية إلى تعمير الجزائر بعناصر أوروبية قادرة على استغلال أراضي الجزائريين والإستفادة من الطاقات البشرية التي يوفرها السكان الأصليين بأرخس الأثمان، لدعم الإستعمار الفرنسي في الجزائر، وقد ترتب عن هذا الزحف الأوروبي على مستعمرة الجزائر، استعمار مدني واستعمار عسكري، تدعم بإصدار سلسلة من القوانين والقرارات خولت للمعمرين الإستيلاء بطرق مختلفة على أجود الأراضي .

لقد شجعت الإدارة الاستعمارية المهاجرين الاوروبيين، وقدمت لهم كل التسهيلات للهجرة للجزائر، حتى أنها قدمت لهم كل التدابير والنصائح في رحلتهم البحرية للجزائر وعند وصولهم إليها، كما وزعت عليهم الأراضي مجانا ومنحتهم إمتيازات سخية، كي يقطن المعمر ولا يغادرها أبدا.

ومن أبرز الشخصيات الفرنسية التي كان لها الأثر البالغ في النشاط الإستيطاني ونهب أراضي الجزائريين ؛ هو الجنرال بيجو الذي استدعته الحكومة الفرنسية خصيصا للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر وتوسيع عملية الإستيطان وتشجيع هجرة الأوروبين إليها ..

ومن خلال هذه الورقة البحثية ، أدرس العناصر التالية :

1 - نشاط الحركة الاستيطانية في مستعمرة الجزائر بعد الإحتلال.

2 - سياسة الماريشال بيجو بعدما تم استدعائه الى الجزائر سنة 1836م.

3 - سياسة بيجو الاستيطانية وإخضاع القبائل ومصادرة أراضيهم.

**أولا - نشاط الحركة الاستيطانية في مستعمرة الجزائر بعد الإحتلال**

فتحت فرنسا أبواب الجزائر أمام المهاجرين الفرنسيين والأوروبيين على السواء ، فكان عدد المهاجرين الفرنسيين في البداية أقل من عدد المهاجرين الأوروبيين ، وفي سنة 1839 م بلغ عدد المهاجرين إلى الجزائر خمسة وعشرين ألف أوروبي من أصلهم احدى عشرة الف فرنسي وفي عام 1847 م بلغ عدد الفرنسيين ثمانية وأربعون ألف أوروبي من أصل مائة وعشرة ألف مهاجر أوروبي بينهم اثنان وثلاثين أف اسباني و ثمانية او تسعة ألاف من الايطاليين والألمان والمالطيين والسويسريين ، وبلغ عدد الفرنسيين عام 1860 مائة وعشرون ألفا من مجموع مائتي ألف وارتفع هذا الرقم عام 1871 م الى مائة وثلاثين ألف فرنسي مقابل مائة وخمسة عشر أف أوروبي وتعادل الرقمان تقريبا عام 1876 م[[1]](#footnote-1).

و قد وجد الأوروبيون التسهيلات للإقامة وبناء حياة جديدة في الجزائر ، فوجدوا الأرض والأمن والمعدات وكانت السلطة الفرنسية توفر لهم كل أسباب العمل في أول الأمر بأسلوب مغر . فلمدة ثلاث سنوات لا يدفع المهاجر الضرائب ولا يرد سلفة نقدية ، كما كان يجد الطرقات ممهدة والحماية من الاعتداءات عليه . ويعطي أحيانا عددا من الحيوانات للانطلاق في مهمته الفلاحية . والسلطة نفسها تقوم بتجفيف المستنقعات ومد الطرق وتوفير الأرض ، وقد عمد الماريشال بيجو الذي يعتبر هو المؤسس الحقيقي للاستعمار في الجزائر (1841-1847) ، إلى فتح ما سمي بعهد الاستعمار العسكري ، وهو تحويل الجنود إلى مستوطنين بتزويجهم ومنحهم الأرض والمعدات[[2]](#footnote-2).

وفي شهر مارس من عام 1848 م صرح اعلان موجه للمستعمرين وفيه : ".. إن الجمهورية الثانية ستدافع عن اقلم الجزائر ، كما لو تعلق الأمر بإقليمها الخاص والتراب الفرنسي . مصالحكم المادية والمعنوية ستدرس وستعرف حلولا تنال رضاكم .."[[3]](#footnote-3).

وتتمة لمشروع بوجو الذي جعل عنوانه ، السيف والمحراث ، وذلك أن بيجو عندما غادر الجزائر صيف 1847 ، ترك مناطق من الجزائر لم يستطع سيفه ولا محراثه أن يدخلها ، مثل منطقة جرجرة والصحراء . كما أنه ترك المناطق التي احتلها في وضع غير مستقر وغير امن على قومه ، ولذلك كان على خلفائه أن يواصلوا سياسته في الهدم والترحيل والحرف والنفي والإرهاب[[4]](#footnote-4).

ورافقت عملية التهجير والتوطن مصادرة أملاك الجزائريين من أراض وعقارات وقطعات المواشي لتمليكها لهؤلاء المهاجرين الأوروبيين الذي كان الكثير منهم من المحكوم عليهم بسوابق عدلية اجرامية في فرنسا وجيء بهم إلى الجزائر للتخلص من مشاكلهم ولاستغلالهم في حركة التوسع الاستعماري, ونتج عن هذه العملية أن تضاعف البؤس والشقاء بين الجزائريين أصحاب الأرض والبلاد الشرعيين[[5]](#footnote-5).

وأخذ المستوطنون بعد ذلك في استخدام قوتهم الاقتصادية الجديدة لممارسة الضغوط السياسية ضد الحكومة الفرنسية وتطبيق السياسة المناسبة لهم . وعندما حاولت فرنسا تطبيق سياسة الدمج بهدف معاملة الجزائر كأي قطعة فرنسية أخرى ، انبرى المستوطنون لمقاومة هذه السياسة واحباطها. وظهر خلاف حاد بين المستوطنين وبين الحكومة الفرنسية في باريس ، عهد الجمهورية الثالثة بسبب التناقض في وجهات النظر تجاه القضايا الاقتصادية ومشاريع الاستثمار ونفقات الادارة في الجزائر، وبسبب التناقض أيضا بشأن الدور المقبل للجزائريين في بلادهم. وكان معظم المستوطنين يعتقدون بوجوب ابادة الجزائريين وافنائهم ، بينما كان الليبراليون في فرنسا يعتبرون أن من الواجب تدريب الجزائريين على الأعمال الرخيصة[[6]](#footnote-6).

وقد شكل التوسع العسكري مع التوسع المدني في الجزائر سياسة استيطانية متميزة في الجزائر، حيث تزامنت هجرات فرنسية وأوروبية مع توسعات العسكريين ، وقد كان وراء عملية الاستيطان أكثر من طرف ، رسمي فرنسي وعقائدي أوروبي ، فالاستعمار الاستيطاني اجتماعي واقتصادي وثقافي قائم على أساس يخالف النظرية المعروفة في علم السياسة القائلة بأن الدولة تتكون من اقليم وشعب ومقومات ونظام حكم ومجال سيادة بينما ينهى الاستعمار الى اعتبار أن أساس الدولة هو أن تحدث قوة سياسية ما نظام حكم ومجال سيادة ما على هذا الاقليم، وعلى حساب هذا الشعب الأمر الذي يؤدي إلى ظهور نظام سياسي جديد يتطور قهرا ووفقا لرغبة المستوطنين لا وفقا للتطور الطبيعي والديمغرافي للمواطنين الأصليين[[7]](#footnote-7).

**ثانيا**  **- سياسة الماريشال بيجو بعدما تم استدعائه الى الجزائر سنة 1836م**

كتب المارشال ماركيز ميسون Marquis Maison إلى الجنيرال بيجو[[8]](#footnote-8)، في 25 ماي1836 قائلاً : "جنرال، لقد أبلغتكم بالفعل عن نية الملك بأن تغادر على الفور باريس وتتمركز في ميناء طولون، حيث يتم نقلك إلى وهران ومنها إلى منطقة التافنة حيث الجنرال دارلانج، و الذي بدوره أنشأ معسكرا هناك، مع قواتنا لتسهيل الاتصالات بين جزيرة رشقون وتلمسان، وعند وصولك إلى التافنة ستتولى قيادة القوات ، والجنرال دارلانج سوف يتلقى أوامرك لشن العمليات العسكرية، وسوف تفحص الأعمال الدفاعية المنفذة عند التافنة، وسيتم وضع قوات تترك في المخيم للحراسة في موضع يمكن أن نواجه مقاومة أو هجوم عربي، سوف تصل إلى تلمسان بكل قواتك وتضرب العرب والقوات الأخرى التي تسعى إلى معارضة تحركاتنا"[[9]](#footnote-9), وقد وصلت التعزيزات الفرنسية من مارسيليا إلى التافنة في 04 إلى 06 جوان، أما الجنرال بيجو فقد هبط في نفس الوقت مع قواته وخيموا على ضفة التافنة. وتم إبلاغ الجنرال ربتال Rabatal بوصول الجنرال بيجو وقد سارع هذا الأخير إلى تقديم وتنظيم الخدمات المختلفة للقوات الفرنسية التي سيتم تجميعها في منطقة التافنة.

وفي 10 جوان 1836 كان الجنرال بيجو مستعداً للهجوم بعد أن علم أن عبد القادر أرسل قواته بجانب وهران لإحراق حصاد حلفاء الفرنسيين، وأن معسكره كان في واد سنان حيث توجه إلى وهران أولا بدل الذهاب إلى تلمسان وغادر من هناك، لأن الجزائريين كانوا قريبين وكان علينا - يقول المؤلف - أن نتجنب التعرض للهجوم أثناء عبور الممرات الخطيرة ولكن صعوبة السير ليلا في بلاد غير معروفة، فيه ضرر سرعان ما جلب الفوضى والرعب للكولون.

**ثالثا**  **- سياسة الماريشال بيجو بعدما تم استدعائه الى الجزائر سنة 1836م**

وصل الجنرال بيجو إلى وهران عن طريق البحر بعد عودة العقيد الكولونيل تامبو Tempour[[10]](#footnote-10)، وكان تراجع قوة باي قسنطينة هو هدف مجلس الوزراء الفرنسي والحاكم العام ولكي لا تنقسم القوات الفرنسية وقت الهجوم على قسنطينة، كان من الضروري صنع السلام مع العرب (الأمير عبد القادر) لذا كان لابد من إختيار رجل الحرب المناسب والمفاوض، فعيّن الجنرال بيجو لتحقيق هذه المهمة[[11]](#endnote-1)، في الوقت نفسه أخذت فرنسا تطبق في الجرائر سياسة الاحتلال الشامل وكان صاحب هذه السياسة الماريشال سولت رئيس الحكومة الفرنسية منذ سنة 1840 م فاختار لتنفيذها الجنرال بيجو الذي قامت سياسته على أساس إخضاع القبائل الثائرة، لاعن طريق مواجهة عسكرية بين القوات الفرنسية وقوات عبد القادر، ولكن بإتباع أسلوب الإرهاب المتمثل في إحراق الحقول واختطاف قطعان الأغنام -وهي رأس مال القبائل- إلى جانب إحراق القرى بأهلها، ومعاقبة كل من له صلة بالأمير عبد القادر، كما عمل بوجو على مصادرة أراضي جميع القبائل التي شاركت في المقاومة وتوزيعها على جنوده والمستوطنين الفرنسيين الذين تدفقوا على الجزائر، لزراعتها لمصلحتهم ومصلحة فرنسا[[12]](#footnote-11).

وقد تم بناء القرى ووضعها تحت حماية القوات الفرنسية وسرعان ما سكنها الفرنسيون والأجانب وتم إنشاء المدن، سواء على الساحل أو في الداخل وأقيمت مباني عسكرية والطرق والجسور، وتم إنشاء أسقفية في الجزائر، وكان العمل الذي تم القيام به هو توسيع الإستعمار، ففي 1842م إرتفع عدد سكان الجزائر من الأوروبيين إلى أكثر من 46000 ساكن وفي 1845م وصل عددهم إلى 59000 نسمة وازدادوا بشكلٍ ملحوظ سنة 1848م، وفي نهاية هذا العام كان عدد المستوطنين الأوروبيين115 ألف ساكن، والسكان العسكريون ليسوا مدرجين في هذا الرقم[[13]](#footnote-12).

وعن أهمية الإستيطان صرّح بيجو: "عندما ينتهي المستوطن من بناء مسكنه وخدمة الأرض التي إستفاد منها بعد أربع أو خمس سنوات، عندما يرى بأم عينه الأشجار التي غرسها ورعاها تثمر ثماراً طيبة لم يرها في وطنه الأصلي... عندما يرزق بولدين أو ثلاثة على هذه الأرض التي يملكها، حينئذٍ لا يمكن على الإطلاق تصور احتمال التخلي عن هذه الحالة من الرخاء والنتيجة تكون هو أبناؤه وأحفاده مرتبطين بهذه الأرض إلى الأبد[[14]](#endnote-2).

ويمتلك المستوطنون 40 بالمئة من الأراضي الزراعية وإن كانوا في الحقيقة يقدمون 65 بالمئة من الإنتاج الزراعي لأن وسائل إنتاجهم أفضل بكثير من وسائل الجزائريين[[15]](#footnote-13).

وبدأت سياسة بيجو في التقتيل الجماعي والإبادة و سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها، فقد أصدر عدة قوانين قمعية وزجرية جائرة منها قانون مصادرة الأراضي وأملاك المجاهدين إجباريا كما انتهج أسلوب تجريد القبائل من محاصيلهم الزراعية، فيقول في هذا الصدد:" ليست مهمتكم أن تجروا وراء العرب، فهذا غير مجدٍ وإنما مهمتكم أن تمنعوهم أن يبذروا، أو يحصدوا أو يزرعوا، والحرب التي سنقوم بها ليست حرباً تعتمد على طلقات البنادق وإنما هي أن نحرم الجزائريين من مواردهم التي تنتجها أراضيهم، إذهبوا وأقطعوا القمح والشعير..، وإلى جانب ذلك عمل على توسيع صلاحيات المكاتب العربية وإصدار أوامر بإباحة الحرائق وإتلاف الأرزاق وإرتكاب المجازر الفظيعة، وتسليط العقوبات الجماعية، بما في ذلك التغريم الجماعي[[16]](#footnote-14).

وأراد بيجو أن يطبق سياسةً متميزة تمثلت أساساً في ضرورة الإحتلال الواسع بإنشاء مخيمات فلاحية عسكرية يسكنها ويسيرها جنود متزوجون وكانت قناعته مؤسسة على رأي هو:

إن قانون الأقوياء قائم على فلاحة الأرض بواسطة الجيش وعن طريق إخضاع الأهالي بالقوة الحربية ولتطبيق أفكاره وضع جدولاً زمنياً قسمه إلى ثلاث مراحل هي:

الأولى: من 1841-1843م على أساس أن يتم في إعداد البلاد لتطبيق سياسة فلاحية واسعة ومنظمة بعد أن يتمكن الجيش من القضاء على المقاومة الوطنية الجزائرية وأصدر قراره لتطبيق هذا الغرض يوم 18 أبريل 1841م يقضي بتوزيع الأراضي على المعمرين مجاناً[[17]](#footnote-15).

الثانية: 1844-1845م وهي مرحلة إعداد البلاد لإستقبال الهجرة الأوروبية التي قدرها بيجو 4000 عائلة سنوياً تكون في مقاطعة قسنطينة وحدها.

ثالثا: من عام 1846-1847م بناء مدن وقرى فلاحية على أراضي الجزائريين وبالفعل تم وضع وتنفيذ قرار 1846م الذي نزع 168.000 هكتار من 2000 عائلة جزائرية[[18]](#footnote-16).

**خاتمة**

اتبع الماريشال بيجو في مستعمرة الجزائر سياسة استعمارية مبنية على الأهداف التالية :

- تشجيع الهجرة الاوروبية للبلاد ومصادرة الأراضي الجزائريين وبناء القرى للوافدين الجدد.

- إصدار القوانين والتشريعات التي يتم من خلالها مصادرة الأراضي ومنحها للمستوطنين.

- اتباع سياسة التقتيل والارهاب وتنفيذ شعار السيف والمحراث والتركيز على الزراعة.

- تعزيز قوة الجيش الفرنسي بالزيادة في قواته لإخضاع القبائل و التوغل بالإستعمار داخل البلاد.

- إحراق الحقول وإتلاف المزروعات وسرقة القطعان من القبائل المساندة لعبد القادر.

- مهادنة ثم مطاردة الأمير في الأراضي المغربية ومعاقبة كل من يقدم له المساندة .

- القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر وتوسع غربا.

ويعتبر الجنرال بيجو من أكثر الضباط الفرنسيين تحمساً لسياسة الاستعمار والإستيطان ، ومن سياسته أن تبقى البلاد تحت سيطرته العسكرية، وخدمة لأغراضه الإستعمارية، ، وقد كافأت فرنسا بطلها بمنحه ألقابا عديدة عرفانا بمجهوداته الاستعمارية.

وغادر الجنرال بيجو مستعمرة الجزائر سنة 1848م وتوفي سنة 1849م بمرض الكوليرا وقد ترك تاريخاً اسوداً ملطخاً بدماء الجزائريين، وأوضاعا اقتصادية مزرية جراء سياسته في انتزاع أراضي الجزائريين مورد رزقهم، فانتشرت المجاعات والأمراض في أوساطهم وعاشت البلاد في فترة حكمه أسوأ الأوضاع.

1. بسام العسلي ،الأمير خالد الهاشمي الجزائري ،ط2، دار النفائس، بيروت ،1984 ، ص 36 . [↑](#footnote-ref-1)
2. أبو القاسم سعد الله ، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830 – 1962 ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،2007 ، ص 80 [↑](#footnote-ref-2)
3. باتريك افينو و جون بلانشايس ، المرجع السابق، ص 126 . [↑](#footnote-ref-3)
4. أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1992 ، ط1 دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1992 ، الجزء الأول ص 311. [↑](#footnote-ref-4)
5. يحيى بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين . البصائر الجديدة ، الجزائر ، 2013 ، ص 236. [↑](#footnote-ref-5)
6. بسام الغسلي ، الأمير خالد الهاشمي الجزائري ط2 ، دار النفائس ، بيروت ، 1984 ، ص 38 . [↑](#footnote-ref-6)
7. عميراوي أحميدة وآخرون, آثار السياسة الاستعمارية في المجتمع الجزائري 1830 – 1954 ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2016 ، ص 45. [↑](#footnote-ref-7)
8. h. dideville, le marishal bugaud 1784-1849, librerie de fermine- didot cie impremeurs de l’institut rue jakob ,56 paris, 1882, tom deuxieme p 55 [↑](#footnote-ref-8)
9. Ibiad, p p 15 20. [↑](#footnote-ref-9)
10. E. de lisseur de Reynaud, annales algérienne, librairie basti d'Alger, octobre 1845, p 3. [↑](#footnote-ref-10)
11. [↑](#endnote-ref-1)
12. رأفت الشيخ تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية, مصر, 1996، ص134. [↑](#footnote-ref-11)
13. CFALLET, conquête de l’Algérie, Mégrad et cie, impim libraires, rouen, 1856, pp 201-202. [↑](#footnote-ref-12)
14. [↑](#endnote-ref-2)
15. صلاح العقاد، المغرب العربي الكبير فب التاريخ الحديث والمعاصر, ط6, مكتبة الأنجلو المصرية، دن, ص11. [↑](#footnote-ref-13)
16. بقبق الزهرة، الأمير عبد القادر في الأسر(1849-1852)، مذكرة ماجيستير، اشراف، الصم منور، جامعة وهران الثانية، 2009، 2010، ص ص 23-24. [↑](#footnote-ref-14)
17. عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة، المرجع السابق، ص ص89-90.

    المرجع نفسه، ص 90. [↑](#footnote-ref-15)
18. المرجع نفسه، ص 90. [↑](#footnote-ref-16)